SIBAWAYH Journal of Arabic Language and EducationVol.1 No.1 2020
eISSN 2716-5515 (118-138)

الجوانب الأخلاقية والتربوية في شعر أبي فراس الحمداني في أسر الروم دراسة وصفية بلاغية (320–357هـ)

The ethical and educational aspects of Abu Firas al-Hamdani's poetry in The Roman Families Rhetorical descriptive study (320-357H)

Abdul Sattar Abdul Wahab Ayoub Osman
Universiti Islam Antarabangsa Sultan Abdul Halim Mu'adzam Shah,
Kuala Ketil, Kedah, Malaysia
drsattar@unishams.edu.my

Abstract

This research shows us the morals and educational aspects in the poetry of abi firas al-hamdani in the prison of Byzantium the research consists of three chapters as follows: The first chapter includes translation for the life of abi firas al- hamdani since his birthday until his assisnation in the year of three hundred and fifty seven in the fourth century of higrah. The second chapter includes the morals and educational aspects in the poetry of abi firas al-ham dani such as: Honoring ones parents- patience – courage-fulfillment-patriotism –trust in god and so on. The third chapter in cludes texts of study in the sector of rhetoric and criticism then the research proved that the poet had succeeded in all texts of study because he was having emotional experience and achieved organic unity and used the rhetorical methods. At the end of the study the research urges all students of knowledge to do their best and read the more about abi firas al-hamdani especially his divan because it has so many morals and educational aspects.

Keyword: poetry, Abi Firas al-ham dani, courage, fulfillment, patriotism

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، ومن اهتدى بهديه وسار على نهجه ،واقتفى أثره إلى يوم الدين أما بعد

فقد تميز أبو فراس الحمداني في أسر الروم بجوانب أخلاقية وتربوية عالية انعكست على شعره ، وتلك الجوانب الأخلاقية والتربوية وإن لم يكن من الغريب على القاريء سماعها ، إلا أن مثار الإعجاب بها والتقدير لها إنما جاء من كونها وقعت في حال غير طبيعية؛ هذه الحال هي الأسر حيث لم يمنعه الأسر من المحافظة عليها والتمسك بها ، وقد كان الإعجاب بشخصية أبي فراس الحمداني –لما تقدم –من أهم الدوافع وراء اختيار الموضوع ،كما كان من الدوافع أيضا الرغبة العارمة والإرادة الصادقة لدى الباحث لدراسة شخصية أبي فراس الحمداني كشاعر عربي محب للغزوفي سبيل الله من جهة ،و الوقوف على آثاره في الشعر في أسر الروم من جهة أخرى .

أهمية البحث : للبحث أهمية كبيرة؛ لأنه يُعنى بدراسة وتوضيح الجوانب الأخلاقية والتربوية في شعر أبي فراس في أسر الروم ؛للاستفادة منها وذلك بالاقتداء بها ،وتربيةالأجيال عليها ،فمما لاشك فيه أن الجوانب الأخلاقية

هي جوانب تربوية و كل جانب أخلاقي يجب أن يشب عليه النشء وتتربى عليه الأجيال ،ومن هنا جاءت أهمية البحث ، كما جاءت أهمية البحث أيضا من كون عرضه لجوانب أخلاقية في شعر أبي فراس في أسر الروم ،لم تعرض لها أي دراسة من الدراسات التي تناولت شعر أبي فراس بصفة عامة أو تلك التي تناولت شعر الروميات عنده بصفة خاصة .

حدود البحث : تتمثل حدود البحث في المدة الزمنية التي قضاها أبو فراس في أسر الروم ، وأفرز فيها تلك الجوانب الأخلاقية ،منذ وقوعه في الأسر في 351هـ حتى مفاداته في سنة 355هـ.

أسئلة البحث : يحاول البحث الإجابة على الأسئلة الآتية :

1- متى ولد أبو فراس ؟ وما صفاته ؟ وأين كان يعيش؟

2- كيف كانت علاقة أبي فراس بسيف الدولة ؟

3- ما الجوانب الأخلاقية والتربوية في شعرأبي فراس في أسر الروم ؟

منهج البحث : المنهج المتبع في الدراسة هو المنهج الوصفي التحليلي حيث يعتمد الباحث على الوصف ،والشرح ،والتوضيح والتحليل ،لما يتم تناوله من موضوعات داخل البحث .

والبحث الذي بين أيدينا يتكون من تمهيد ومطلبين وخاتمة ، أما التمهيد فيعرض لترجمة أبي فراس ، وأما المطلب الأول: فيعرض لتلك الجوانب الأخلاقية والتربوية في شعره في الأسر ، وأما المطلب الثاني: فيعرض لتلك الجوانب الأخلاقية في شعره في الأسر في ميزان البلاغة والنقد ، وأما الخاتمة :فتعرض لما توصل إليه البحث من نتائج ، وما توصي به الدراسة .

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل .

تمهيد

سيرة أبي فراس الحمداني

مولده ونسبه : هو أبو فراس الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبي الشاعرالمُفْلِق ابن عم ناصر الدولة وسيف الدولة ابني حمدان [1] وكان مولده في سنة عشرين وثلاث مائة[2] ((وكان يسكن مَنْبِج ويتنقل في بلاد الشام في دولة ابن عمه أبي الحسن بن حمدان المعروف بسيف الدولة))

([1]) الثعالبي ، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، ج1، ص57، شرح وتحقيق ، د مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ، طبعة ثانية ، 1983م. ابن عساكر ، تاريخ دمشق الكبير ، تحقيق وتعليق العلامة أبي عبدالله علي عاشور الجنوبي ،ج12، ص224، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، طبعة أولى ، 2001م ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج2، ص58، تحقيق د.إحسان عباس ، دار صادر بيروت ،الصفدي ، الوافي بالوفيات ، تحقيق احمد الأرناؤوط -تركي مصطفى ، ج11، ص201،دار إحياء التراث العربي ، بيروت ،طبعة أولى ، 2000م.، الزركلي ،الاعلام، ، ج2، ص155، دار العلم للملايين ، الطبعة العاشرة ، بيروت لبنان ، 1992م.

([2]) ابن خلكان ،وفيات الأعيان ، ج2، ص61، مصدر سبق ذكره ، الوافي بالوفيات ، ج11، ص201،مصدر سبق ذكره ، ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج4، ص302، أشرف على تحقيقه وخرج أحاديثه ، عبدالقادر الأرناؤوط – حققه وعلق عليه محمود الأرناؤوط ، دار ابن كثير دمشق ، طبعة أولى ، 1989م.

(ابن عساكر 2001م،ابن منظور ،1984م)

صفاته : قال عنه الثعالبي في يتيمة الدهر: ((كان فرد دهره ، وشمس عصره ، أدبا وفضلا ، وكرما ونبلا ، ومجدا وبلاغة ، وبراعة ، وفروسية وشجاعة ، وشعره مشهور بين الحسن والجودة ، والسهولة والجزالة ، والعذوبة والفخامة،والحلاوة والمتانة ، ومعه رواء الطبع ، وسمة الظرف وعزة الملك)) .(الثعالبي ،1983م،اليافعي ، 1993م)

ولم تجتمع هذه الخلال قبله إلا في شعر عبدالله بن المعتز(ت295هـ) ، وأبو فراس يعد أشعر منه عند أهل الصنعة ونقدة الكلام وكان الصاحب بن عباد يقول : بدييء الشعر بملك وختم بملك يعني امرأالقيس وأبا فراس وكان المتنبي يشهد له بالتقدم والتبريز ، ويتحامى جانبه فلا ينبري لمباراته ولا يجتريء على مجاراته ، وإنما لم يمدحه ومدح من دونه من آل حمدان تهيبا له وإجلالا لا إغفالا وإخلالا ، وكان سيف الدولة يعجب جدا بمحاسن أبي فراس ، ويميزه بالإكرام عن سائر قومه ، ويصطنعه لنفسه ، ويصطحبه في غزواته ، ويستخلفه على أعماله ، وأبو فراس ينشر الدر الثمين في مكاتباته إياه ، ويوفيه حق سؤدده ، ويجمع بين أدبي السيف والقلم في خدمته[3] وقال الذهبي : ((الشاعر المفْلِق ، وكان رأسا في الفروسية والجود وبراعة الأدب...وكانت له منبج ثم تملك حمص ثم قتل بناحية تدمر ، وكان سار ليتملك حلب))

من حِكَمِه في الشيب وطول العمر : (الذهبي ،1984م،الزركلي،1992م)

قال في الشيب من الوافر : رأيتُ الشّيبَ لاحَ فقلتُ أهْلا وَوَدّعْتُ الغُوايةَ والشّبابَا

وَمَا إن شِبْتُ من كِبَرٍولَكِنْ لَقِيْتُ مِنْ الأحِبّة مَا أشَابَا

وقال في طول العمرمن السريع : مَنْ يتمنّ العُمْرَ فليدْرِعْ صَبْرا على فَقْدِ أحِبّا ئِهِ

وَمَنْ يؤجّلْ يَرَ في نَفْسهِ مَا يتمَنّاهُ لِأعْدَائِهِ

(أبو فراس ،1992م ، ابن تغري بردي، 1992م)

فصاحته وبلاغته:

كتب أبو فراس إلى سيف الدولة ، وقد شخص من حضرته ، إلى منزله بمنبج كتابا صدره : كتابي أطال الله بقاء مولانا من المنزل وقد وردته ورود السالم الغانم مثقل البطن والظهر وفرا وشكرا ، فاستحسن سيف الدولة بلاغته ، ووصف براعته ، وبلغ أبا فراس ذلك فكتب إليه :

هَل لِلْفَصَاحَةِ والسّمَا حَةِ والعُلا عَنّي مَحِيدُ

إذ أنتَ سَيديَ الّذِي رَبّيْتَنِي وَأبِي سَعِيدُ

فِي كُلّ يَوْمٍ أسْتَفِي دُ مِنْ العَلاءِ وأسْتزِيدُ

ويَزِيدُ فيّ إذا رَأَيْ تُكَ في النّدَى خُلُقُ جَدِيدُ

(الثعالبي ،1983،ابن خلكان ،دون سنة)

([3]) الثعالبي ، يتيمة الدهر ، ج1، ص57، اليافعي، مرآة الجنان ، ج2، ص369،.

صبره على إخوانه وأصحابه :

يقول من البسيط :

ماكنتُ مذ كنتُ إلا طوعَ خُلاني ليستْ مؤاخذة الإخْوَانِ مِنْ شَانِي
يَجْنِي الخَلِيْلُ فأسْتَحْلي جِنَايتَهُ حَتّى أدُلُ عَلَى عَفوي وإحْسَاني
إذا خَليلي لَمْ تكْثرْ إسَاءتُه فأينَ مَوْقعُ إحْسَانِي وَغُفْرَانِي
يَجْنِي عَليّ وأحْنُو صَافِحَاً أبداً لا شَيءَ أحْسَنُ مِنْ حَانٍ عَلَى جَانِي :

(الثعالبي،1983، ابن عساكر ،2001،أبو فراس ،1992م)

وقوعه في الأسر

وكانت الروم قد أسرته في بعض وقائعها ، وهو جريح قد أصابه سهم بقي نصله في فخذه ونقلته إلى خَرْشَنة[4] ثم منها إلى قسطنطينية وذلك في سنة ثمان وأربعين وثلثمائة وفداه سيف الدولة في سنة خمس وخمسين ، قال ابن خلكان هكذا قال أبو الحسن علي بن الزراد الديلمي وقد نسبوه في ذلك إلى الغلط وقالوا : أسر أبو فراس مرتين فالمرة الأولى بمغارة الكحل في سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة وما تعدوا به خرشنة وهي قلعة ببلاد الروم والفرات يجري من تحتها وفيها يقال : إنه ركب فرسه وركضه برجله فأهوى به من أعلى الحصن إلى الفرات والله أعلم والمرة الثانية أسره الروم على منبج في شوال سنة إحدى وخمسين وحملوه إلى قسطنطينية وأقام في الأسر أربع سنين ...وكانت مدينة مَنْبَج[5] إقطاعا له [6] .

وهنا نريد أن نؤكد على أن هناك عدم توافق بين المؤرخين بخصوص وقوعه في الأسر؛ فهناك من يقول أسر مرتين وهناك من يقول أسر مرة واحدة ، ولكن الذي يعنينا هو وقوعه في الأسر سنة 351هـ ؛لأن هذا هو الثابت والمعروف والمجمع عليه ،والذي دخل فيه الأسر وتم مفاداته بعد ذلك سنة 355هـ. لأن هناك من الباحثين من يقول: مكث في السجن سبع سنين ،ثم يعود ويقول أسر سنة 351 هـ. وإذا كان قد وقع في الأسر سنة 348هـ جدلا ،فلا يوجد لدينا الشعرالذي قاله في الأسر في تلك المدة ،و الثابت لدينا أن ماقاله من شعر في الأسر يحمل على المدة من 351 حتى 355 هـ والله أعلم .

وفاته :

قال ابن الأثير قتل في سنة 357هـ في ربيع الآخر وسبب ذلك أنه كان مقيما بحمص ، فجرى بينه وبين أبي المعالي بن سيف الدولة بن حمدان وحشة فطلبه أبو المعالي ، فانحاز أبو فراس إلى صدد وهي قرية في طرف البرية عند حمص ، فجمع أبو المعالي الأعراب من بني كلاب وغيرهم وسيرهم في طلبه مع قرغويه ، فأدركه بصدد[7]

---

(4)خرشنة بفتح أوله وتسكين ثانيه وشين معجمة ونون ،بلد قرب مَلَطْية من بلاد الروم غزاه سيف الدولة بن حمدان ، ...وقالوا سمي خرشنة باسم عامره وهو خرشنة بن الروم بن اليقن بن سام بن نوح عليه السلام وقال أبو فراس : إن زرت خرشنة أسيرا فلكم حللت بها مغيرا ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج2، ص359، دار صادر ، بيروت .

(5) مَنْبَج :مدينة كبيرة واسعة ذات خيرات كثيرة ، وأرزاق واسعة في فضاء من الأرض ، كان عليها سور مبني من الحجارة محكم ، بينها وبين الفرات ثلاثة فراسخ ، وبينها وبين حلب عشرة فراسخ ، وشربهم من قُنيّ تسيح على وجه الأرض وفي دورهم أبار أكثر شربهم منها لأنها عذبة صحيحة... ومنها البحتري وله بها أملاك .، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج5، ص206، دار صادر ، بيروت ، 1977م .

(6) ابن خلكان، وفيات الأعيان ، ج2، ص59.، الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج11، ص201.، ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، ج1، ص284، ، دار الكتب العلمية ، طبعة أولى،، بيروت ، 1996م.

(7)وفي مقتله بصدد يقول بعضهم :

وعلمني الصد من بعده من اليوم مصرعه في صدد
فسقيا لها إذ حوت شخصه وبعدا لها حيث فيها ابتعد

ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، ج1، ص284،

فكبسوه فاستأمن أصحابه ، واختلط هو بمن استأمن منهم ، فقال قرغويه لغلام له : اقتله فقتله ، وأخذ رأسه ، وتركت جثته في البرية ، حتى دفنها بعض الأعراب ، وأبو فراس هو خال أبي المعالي بن سيف الدولة ،ولقد صدق من قال إن الملك عقيم[8] قال ابن خلكان: قال ابن خالويه : لما مات سيف الدولة عزم أبو فراس على التغلب على حمص فاتصل خبره بأبي المعالي بن سيف الدولة وغلام أبيه قرغويه فأنفذ إليه من قاتله فأخذ وقد ضرب ضربات فمات في الطريق[9] .

وقال ابن خلكان أيضا : ورأيت في ديوانه أنه لما حضرته الوفاة كان ينشد مخاطبا ابنته :

أبُنيّتِي لا تَجْزَعِي كُلُّ الْأنَامِ إلَى ذَهَابِ
قُولِي إذَا كَلمتِنِي فَعَييتُ عَنْ رَدِّ الْجَوَابِ
زينُ الشّبابِ أبُو فِرا سٍ لَمْ يُمَتّعْ بالشّبَابِ [10]

(ابن خلكان ،دار صادر،أبو فراس ، 1992م)

المطلب الأول:

الجوانب الأخلاقيةوالتربوية في شعر أبي فراس الحمداني في أسر الروم :

امتاز شعر أبي فراس الحمداني في أسر الروم بجوانب أخلاقية وتربوية عظيمة نذكر منها مايلي :

أولا : برالوالدين :

بر الوالدين من أعظم الصفات وأجل الأخلاق التي يجب أن يتحلى بها المسلم ،وذلك؛ لأن الإحسان إليهما والبر بهما أمر من أوامر الله سبحانه وتعالى لعباده ، قال تعالى: (وقَضَى ربُك ألا تَعْبُدوا إلا إيّاهُ وبالْوَالدَينِ إحْسَانَا إمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الكِبَرَ أحَدُهُمَا أو كِلاهُمَا فلا تقل لّهما أفٍ ولا تنْهَرهُمَا ، وقل لّهُمَا قولاً كريمًا)[11] ، وقد كان شاعرنا بارا بأمه على الرغم من بعده عنها– فقد فقد أباه صغيرا– وتمثل ذلك البرفي الحب لها والإشفاق عليها ، والسؤال عنها،والثناء عليها ،والكتابة إليها ، والوصية بها ، واللوم فيها ، والمواساة لها ، والحنو عليها فمن ذلك قوله:

لَوْلَا العَجُوزُ بِمَنْبجٍ ماخِفْتُ أسْبَابَ الْمَنِيّهْ
وَلكَانَ لِي عَمّا سَألْ تُ مِنْ الفِدَى نَفْسُ أبِيّهْ

([8]) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج8، ص588، دار صادر ، بيروت .، 1979م.ابن كثير ، البداية والنهاية ج15، ص314، تحقيق د.عبدالله بن عبدالمحسن التركي ، دار هجر ،طبعة أولى ، 1998م ،ابن منظور ، مختصر تاريخ ابن عساكر ، ج6، ص150،، سبق ذكره .

([9]) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج2، ص61،

([10]) وقال ابن خلكان وهذا يدل على أنه لم يقتل أو يكون قد جرح وتأخر موته ثم مات من الجراحة ، لكن بالرجوع إلى الديوان يتضح لنا أنه قال تلك الأبيات قبل ذهابه إلى لقاء قرغويه ، وأن ابنته بكت عليه لما رأته في هم وغم وقلق وقال تلك الأبيات ورجله في الركاب والخادم يضبط السير عليها ، وإنما قال ذلك كالذي ينعي نفسه وإن لم يقصد ذلك ،ثم سار إلى ملاقاة قرغويه وكان آخر ماقال من الشعر . ديوان أبي فراس ، ص59.، بتصرف .وبالتالي نستبعد رأي ابن خلكان من أنه مات بعد الجرح والإصابة في المعركة ويتأكد لنا أنه قتل في المعركة مع قرغويه وكان من أمره ما كان .

([11]) سورة الإسراء /23.

لَكِنْ أرَدْتُ مُرَادَهَا وَلَو انْجَذَبْتُ إلّى الدّنِيّهْ
فِيْهَا التّقَى وَالدّينُ مَجْ مُوعَانِ فِي نَفْسٍ زَكِيّهْ
يَا أُمّتَا لَا تَحْزَنِي وَثِقِي بِفَضْلِ اللهِ فِيّهْ
يَا أُمّتَا لَا تَيْأسِي للهِ أَلْطَافُ خَفِيّهْ
أُوصِيكِ بالصّبْرِ الجَمِي لِ فَإنّه خَيرُ الْوَصِيّهْ

(الثعالبي، 1983م، أبو فراس ، 1992م)

وقال متحسرا عليها:

ياحَسْرةً مَاأكَادُ أحْمِلُها آخرُها مزعجُ وأولُها
عليلةُ بالشّأمِ مُفْرَدَةُ بَاتَ بِأيدِي العِدَى مُعَلِلُهَا[12]
إذا اطمَأنّتْ وأيْنَ ؟أو هَدَأتْ عنّت[13] لها ذِكْرَة[14]تقلقُها
تَسْألُ عَنّا الرّكْبَانَ جَاهِدَةً بِأدْمُع مَا تكادُ تُمْهِلُهَا
ياأيّها الرُّكْبَانُ هَل لّكُمَا في حَمْلِ نَجْوَى يَخِفُّ مَحْمَلُها
يا أُمّتا هَذِه مَنَازِلُنَا نَتْرُكُهَا تَارَةً وَننْزِ لُهَا

(الثعالبي ،يتيمة الدهر، 1983م)

وقال معاتبا سيف الدوله فيها ولائما :

بِأَيّ عُذر رَدَدتَ وَالِهَة[15] عَلَيْكَ دون الْوَرَى معوّلُهَا
جَاءتْكَ تمْتَاحُ[16] رَدَّ واحِدهَا يَنْتَظِرُ النّاسُ كَيْفَ تقفلُهَا[17]

(الثعالبي،1983م)

([12]) معللها : الذي يعولها ويداويها .
([13]) خطرت في بالها
([14]) فكرة
([15]) الوالهة : العاشقة الحزينة المفجوعة .جاء في لسان العرب : وله : الوَلَهُ : الحزن وقيل هو ذهاب العقل والتحير من شدة الوجد ، وتُوَلّه ناقتك أي تجعلها والهة بذبحك ولدها .
([16]) أصل تمتاح تخرج الماء من البئر والمعنى هنا تسأل وتطلب .، وتقول متح الدلو يمتحها متحا إذا جذبها مستقيا بها ، الماتح : المستقي ،ابن منظور ، لسان العرب ، م. ت.ح .، ج6، ص4126، دار المعارف .
([17]).، ،تقفلها : ترجعها .وتعيدها

فهو لايجد لسيف الدولة عذرا في رد أمه دون تلبية طلبها بمفاداته ويذكرسيف الدوله بأنه مسئول عنها وعليه معولها دون كل البشرفي غيابه عنها وهذا يوضح قوة العلاقة بينه وبين سيف الدولة من جهة وما كان يجب عليه عمله تجاهها من جهة أخرى، وفي ذلك لوم وعتاب لسيف الدولة حتي يخلصه من أسر الأعداء .

وعند موتها رثاها وهوفي الأسر قال:

وَقَد ذُقْتِ الْمَنَايَا والرَّزَايا وَلَا ولدُ لَدَيْكِ وَلَا عَشِيرُ

وَغَابَ حَبيبُ قلبِكِ عَنْ مَكَانٍ مَلائكةُ السّمَاءِ بِهِ حُضُورُ

لِيبْكِكِ كُلُ يومٍ صُمْتِ فِيْهِ مُصَابرَةً وقَد حَمِي الْهَجِيْرُ

لِيبْكِكِ كُلُ ليلٍ قُمْتِ فِيْهِ إلَى أَنْ يَبتَدِيَ الْفَجْرُ الْمُنِيرُ

(أبو فراس ، 1992م)

فقد أوضح أنها ذاقت الموت – وهو مصيبة– في غياب الابن والعشيرو ذكر مكانته عندها بأنه حبيب قلبها وقد غاب عن هذا اليوم المشهود الذي كان يفترض حضوره الأمر الذي يحزن القلب ويسيل الدمع ثم يعدد مناقبها وأعمالها الصالحة من الأيام التي صامتها في الهجير والليالي التي أقامتها إلى الفجر، فتلك الأعمال تبكيها وتشفع لها .

مما تقدم يتضح لنا بره بأمه والذي تمثل في حبه لها، وثنائه عليها ،ولومه فيها، ووصيته بها وكتابته إليها ، وخوفه عليها، ورثائه لها .

ثانيا : الصبروالمواساة والتأسي :

باديء ذي بدء أقول إن هذا الجانب الأخلاقي وهو الصبر والمواساة والتأسي وثيق الصلة بما قبله لأنه تضمن صبر الشاعر على مايعانيه في الأسر ثم عودة الشاعرإلى توجيه الحديث لأمه مرة أخرى يصبرها ويحثها على التأسي ، والصبر وما يتعلق به من مواساة وتأسي من أعظم الأخلاق التي يجب أن يتربى عليها النشء، لما لها من فوائد دنيوية وأخروية وأعظم بر يقدمه الإنسان لوالديه نصحهما وحثهما على طاعة الله والصبر على قضائه والأمل فيماعنده والثقة به سبحانه وتعالى قال:

مُصَابي جَليلُ والْعَزَاءُ جَمِيلُ وَدَائي مَابين الضّلُوعِ دَخِيْلُ

تَطُولُ بي السّاعاتُ وهي قَصِيرَةُ وَفِي كُلِ دَهْرٍ لايَسُرُّكَ طُوْلُ

تَنَاسَانِي الأصْحَابُ إلا عُصَيْبَةً سَتَلحقُ بالأخرى غَدَاً وتَحُولُ

فَكُلُ خَلِيْلٍ هَكَذا غَيرُ مُنْصفٍ وَكُلُ زَمَانٍ بالْكِرَامِ بَخِيْلُ

وَقَبْلِي كَانَ الْغَدْرُ في النّاسِ شِيْمَةً وَذَم زمان واستلال خليلُ

وفارق عمرو بن الزبير شقيقه[18] وخَلى أميرَ المؤمنين عَقيلُ[19]

فيا أمتا لا تعدمي الصبر إنه إلى الخيروالنجح القريب رسولُ

ويا أمتا لا تحبطي الأجر إنه على قدرالصبر الجميل جزيلُ

أَمَا لَكِ فِي ذَات النّطَاقَينِ أُسْوَةُ بمكةَ والْحَرْبُ العوانُ تَجُولُ

تَأسّي كَفَاكِ اللهُ ماتَحْذرِيْنَهُ فَقَدْغَال هَذَا النّاس قَبْلكِ غُولُ

وَكُونِي كَمَا كَانَتْ بِأُحدٍ صَفِيّةُ وَلَمْ يَشْف مِنْهَا بِالبُكَاءِ عَلِيْلُ

وَمَا أثَرِي يَوْم اللقَاءِ مُذَمّم وَلَا مَوْقِفِي عِنْد الأسَار ذَلِيْلُ

وَلَكِنْ بَذَلْتُ النّفسَ حَتّى تَركْتُها وفيها وفي حَدِّ الْحُسَامِ فلولُ[20]

(ابن عساكر،2001م، الثعالبي،1983،أبو فراس ، 1992م)

مما تقدم يتضح لنا أن شاعرنا كان يتحلى بالصبر على مايعانيه في أسره من ذل وهوان وبعد عن الأوطان وفراق الأم والأحباب،كما كان يصبرعلى ما يعانيه من جفاء بعض الأقارب والأصحاب ،والذي كان يتمثل في الإهمال له وعدم السؤال عنه ، والذي كان يشجعه على الصبر على كل ذلك هو التأسي بمن كان قبله، وذكر لذلك حالتين وهما: مفارقة عمرو بن الزبير لأخيه عبد الله في صراعه مع الأمويين 73هـ ،ومفارقة عقيل بن أبي طالب لأخيه على بن أبي طالب أمير المؤمنين في إمارته، رضي الله عنهم أجمعين .

كما نصح أمه بالصبر والتأسي بمن كان قبلها وذكرلها حالتين وهما : صفية رضي الله عنها ،وفقدها لأخيها حمزة رضي الله عنه في أحد 3هـ ، وأسماء رضي الله عنها ،وفقدها لابنها عبد الله بن الزبيررضي الله عنه في صراعه مع الأمويين 73هـ .

ثالثا: الشجاعةُ والثبات ورباطةُ الجأش في الملمات :

قال الثعالبي : أحفظ أبو فراس الدمستق في مناظرة جرت بينهما فقال له الدمستق : إنما أنتم كتّاب ولاتعرفون الحرب فقال له أبو فراس : نحن نطأ أرضك منذ ستين سنة بالسيوف أم بالأقلام؟ ثم قال من الطويل :

أَتَزْعُمُ يا ضَخْمَ اللغَادِيدِ[21] أَنّنَا ونَحْنُ أسُودُ الْحَرْبِ لانَعْرِفُ الْحَرْبَا

فَوَيْلَكَ !مَنْ لِلْحَرْبِ إنْ لَمْ نَكُنْ لَهَا؟ وَمَنْ ذَا الّذِي يُضْحِي ويُمْسِي لَهَا تِرْبَا[22]

وَمَنْ ذَا يَكُفّ الْجَيْشَ مِنْ جَنَبَاتِهِ وَمَنْ ذَا يَقُوْدُ الْعَينَ أو يَصْدِمُ الْقَلْبَا

([18]) يعني عبدالله بن الزبير وذلك عند محاصرة الحجاج له في الكعبة سنة 73هـ فقد كان مع بني أمية ضده .

([19]) عقيل بن أبي طالب .أخو الإمام علي بن أبي طالب أمير المؤمنين رضي الله عنه .، وقيل فارقه في خلافته .

([20]). مع اختلاف يسير في الأبيات من تقديم وتأخيرو استبدال لفظ بآخر.

([21]) جمع لغدود ، وهولحمة في الحلق ، أو كالزوائد من اللحم في باطن الأذن.، انظر يتيمة الدهر ، ج1 ، هامش ص106، للمحقق .

([22]) مثيلا ، ندا ، مساويا ، والمقصود قادرا ، عليها يتحمل تبعاتها وينتصر فيها على العدو.

وَوَيْلَكَ مَنْ أَرْدَى أَخَاكَ بِمَرْعَشٍ وَجَلَّلَ ضَرْبَاً وَجْهَ وَالِدَكَ الْعَضْبَا[23]

وَوَيْلَكَ مَنْ خَلّى ابْنَ أخْتِكَ مُوْثَقَا وَخَلّا كَ بِاللّقَانِ تَبْتَدِرُ الشِّعْبَا

أتُوعِدُنَا بِالْحَرْبِ حَتّى كَأنّنَا وَإيّاكَ لَمْ يُعْصَبْ بِهَا قَلْبُنَا عَصْبَا

لَقَدْ جَمَعَتْنَا الْحَرْبُ مِنْ قَبْلِ هَذِهِ فَكُنّا بِهَا أُسْدَاً وَكُنْتَ بِهَا كَلْبَا

وَسَلْ بَرْدَ[24] سَلْ عَنّا أبَاكَ وَصِهْرَهُ وَسَلْ أَهْلَ بَرْدَ اليس[25] أعْظَمَهُم خَطْبَا

وَسَلْ صِيْدَكُم[26]آل الملابين[27]أنّنَا نَهَبْنَا بِبِيضِ الْهِنْدِ عِرْضَهُمُ نَهْبَا

وَسَلْ أَهْلَ بِيْرَام وَأَهْلَ بَلَنْطَسٍ وَسَلْ آل شنْوَانِ الخَنَاجِرَةَ الغُلْبَا

أَلَمْ تَكْفِهِم قَتْلَاً وَنَهْبَا سُيوفُنَا وأُسْدَ الشَرى[28]المَلأى وَإنْ جَمدَتْ رُعْبَا

بِأقْلاَمِنَا أُجْحِرْتَ[29] أمْ بِسُيوفِنَا ؟ وأُسْدَ الشّرَى قُدْنَا إلَيْكَ أمْ الْكُتْبَا

رَعَى اللهُ أوْفَانَا - إذَا قَالَ- ذِمّةً وَأنْفَذنَا طَعْنَاً وَأثْبَتْنَا ضَرْبَا

(الثعالبي،1983م،أبو فراس ، 1992)

وقال أيضا في ذات الخلق:

مَنْ كَانَ سُرّ بِمَا عَارَا نِي فَلْيَمُتْ ضُرّاً وَهَزْلاً

مَاغَضّ[30] مِنّي حَادِثُ والْقَرْمُ[31] قَرْمُ حَيْثُ حَلاّ

وَلئِنْ خَلَصْتُ فإنّني شَرَقُ[32] العِدَا طِفْلا وَكَهْلا

مَاكنْتُ إلا السّيفَ زا دَ عَلَى صُرُوفِ الدّهرِ صَقْلا[33]

(الثعالبي،1983م،أبو فراس ،1992م)

مما تقدم يتضح لنا بما لا يدع مجالا للشك ما كان يتمتع به أبو فراس من شجاعة، ورباطة جأش وقوة بأس في الأسر ،وذلك في المناظرة التي جرت بينه وبين الدمستق -قائد جيش الروم -الأمر الذي يجعله مثالا يحتذى لكل مجاهد في سبيل الله عن دينه ،ووطنه، وأهله .

([23]) العضب : السيف القاطع .، انظر يتيمة الدهر ج1، هامش ص106،للمحقق
([24]) برد : اسم أبي الدمستق ،السابق نفس الصفحة
([25]) بردالیس : اسم مكان، السابق نفس الصفحة .
([26]) الصيد: جمع أصيد وهو مائل الرأس كبرا ومخيلة ،انظر يتيمة الدهر ، ج1، هامش ص106 للمحقق .
([27]) الملابين جمع ملبون وهو من به مثل السكر . السابق ، نفس الصفحة .
(28) الشرى مكان تجمع الأسود ، أسد الشرى : كلمة تستخدم للدلالة على القوة والشجاعة .
(29) أجحرت : دخلت الجحر فرارا انظر يتيمة الدهر ، ج1، هامش ص107.
([30]) غض : نقص وقلل من منزلتي ، انظر يتيمة الدهر ج1، هامش ص102 للمحقق
([31]) القرم من الرجال السيد المعظم ،لسان العرب ،ابن منظور ، ق.ر.م
([32]) شَرَق العدا : غصتهم ، ، انظر يتيمة الدهر ، ج1، هامش ص102 للمحقق .
([33]) .، الصقل : المضاء ، وصقل السيف جلاه .انظر يتيمة الدهر ، ج1 ، هامش ص 102.للمحقق .

هذا ولم يكن شاعرنا بالذي ينال منه الحساد والشامتون ،والحاقدون ، إنما كان بطلا شجاعا؛ فقد أوضح أنه سيد وعظيم أينما حل، وأن الملمات لا تزيد ه إلا صلابة وقوة،فهو في ذلك مثل السيف تزيده صروف الدهر مضاء ولمعانا.

رابعا:الأخذبالأسباب للوصول إلى الهدف:

الأخذ بالأسباب جانب أخلاقي وتربوي يحرص المسلم على الالتزام به طاعة لله واقتداء برسوله صلى الله عليه وسلم وها هوأبو فراس الحمداني يأخذ بهذا السلوك الأمثل والنهج القويم سعيا للتحرير من أسر إليه قائلا : الروم ؛فقد استدر عطف ابن عمه سيف الدولة من أجل مفاداته من الأسرفكتب

فَمِثْلُكَ مَنْ يُدْعَى لِكُلِّ عَظِيْمَةٍ وَمِثْلِيَ مَنْ يُفْدَى بِكُلِّ مُسَوّدِ

فَإِنْ تَفْتَدُونِي تَفْتَدُوا شَرَفَ العُلاَ وأسْرَعَ عَوّادٍ إلِيْكُمْ مُعَوّدِ

يُدَافِعُ عَنْ أعْراضِكُم بِلِسَانِهِ وَيَضْرِبُ عَنْكُم بِالْحُسَامِ الْمُهَنّدِ

مَتَى تُخْلِفُ الْأيّامُ مِثْلِي لَكُم فَتَىً طَوِيْلَ نِجَادِ السيفِ[34] رَحْبَ المُقَلّدِ[35]

وَلَا وَأبِي مَا سَاعِدانِ كَسَاعِدٍ وَلَا وَأبِي مَاسَيّدانِ كَسَيّدِ

وَإنّكَ لَلْمَوْلَى الّذِي بِكَ أقْتَدِي وَإنّكَ لَلنّجْمُ الّذِي بِكَ أهْتَدِي

وَأنْتَ الّذِي عَرّفْتَنِي طُرُقَ الْعُلَا وَأنْتَ الّذِي أهْدَيْتَنِي كُلَّ مَقْصِدِ

(الثعالبي،1983م، أبو فراس 1992)

وعندما لم يسرع ابن عمه سيف الدولة في مفاداته من الأسر سلك مسلكا آخر فقال : مفاداتي إن تعذرت عليك فأذن لي في مكاتبة أهل خراسان ومراسلتهم ليفدوني وينوبوا عنك في أمري. فأجابه سيف الدولة بكلام حسن ،وقال له: ومن يعرفك بخراسان ؟فكتب إليه أبو فراس من المتقارب :

أسيفَ الْهُدَى وَقريعَ العَرَبْ إلامَ الْجَفاءُ ؟ وَفيْمَ الْغَضَبْ؟

وَمَابَالُ كُتْبِكَ قَدْ أصْبَحَتْ تَتَكَبّبُنِي مَع هَذِي النُّكَبْ

وَأنْتَ الْكَريمُ وَأنْتَ الْحَلِيمُ وَأنْتَ الْعَطُوفُ وَأنْتَ الْحَدِبْ

وَمَاغَضَّ مِنّي هَذَا الإسَارُ وَلَكِنْ خَلَصْتُ خُلُوصَ الذّهَبْ

(الثعالبي،1983م، أبو فراس ، 1992)

ففي أخذه بالأسباب لم يكتف بسبب واحد، ولكن طرق عدة أبواب فعلاوة على ما طلب من سيف الدولة من مفاداته طلب منه أن يأذن له في مكاتبة أهل خراسان، إن تعذر عليه -كما تقدم- ولما قال له سيف الدولة من يعرفك بخراسان ؟ أخذ يعاتبه ويلومه تارة ويثني عليه تارة أخرى، وفي هذا سبب آخرمن

([34]) نجاد السيف : حمائله وعلائقه، انظر ،ديوان أبي فراس ، هامش ص98 للشارح ، ،يتيمة الدهر ج1، هامش ص87.للمحقق.

([35]) المقلد : موضع حمائل السيف . انظر يتيمة الدهر ، ج1 هامش ص87 للمحقق ، رحب المقلد : كناية عن ضخامة كتفيه وما بينهما انظر ديوان أبي فراس ،هامش ص98 للشارح . .

الأسباب ، ولم يكتف بذلك ، وإنما طلب من ابني سيف الدولة أبي المعالي ، وأبي المكارم أن يتوسطا له عند أبيهما في مفاداته فقال :

يَا سَيّدَيّ أرَاكُمَا لَا تَذْكُرَانِ أخَاكُمَا

أوَ جَدْتُمَا بَدَلَا بِهِ يَبْنِي سَمَاءَ عُلاكُمَا

أوَ جَدْتُمَا بَدَلا بِهِ يَفْرِي نُحُورَ عِدَاكُمَا

مَنْ ذَا يُعَابُ بِمَا لَقِي تُ مِنْ الْوَرَى إلّا كُمَا

لَا تقْعُدَا بِي بَعْدهَا وَسَلَا الْأمِيْرَ أبَاكُمَا

وَخُذَا فِدَايَ جُعِلْتُ مِنْ رَيْبِ المَنُونِ فِدَاكُمَا [36]

(الثعالبي ، 1983م،ابو فراس 1992م)

وهكذا ومن خلال ماتقدم يتضح لنا أن أبا فراس الحمداني كان يأخذ بالأسباب من أجل التحرر من أسر الأعداء، وطرق في ذلك عدة أبواب حتى تحقق له مراده ، ووصل إلى هدفه .

خامسا : حب الوطن والشوق إليه :

حب الوطن والشوق إليه غريزة فطرية، ومنحة إلهية جبل المرء عليها ، ولقد صدق ابن الرومي (ت283هـ) حين برهن على سبب حب الأوطان بقوله:

وَحَبّبَ أوطانَ الرّجَالِ إليهُمُ مآربُ قَضَاها الشّبَابُ هُنَالِكَا

إذَا ذَكَرُوا أوْطَانَهُم ذَكّرَتْهُ عُهُودَ الصّبَا فِيهَا فَحَنّوا لِذلِكَا

(ابن الرومي،2002م)

ويقول أبو فراس في حب وطنه وشوقه إليه :

وَكَمْ لِي عَلَى بَلْدَتِي بُكَاءُ وَمُسْتَعْبرُ

فَفِي حَلَبٍ عُدّتِي وَعِزّي وَالْمَفْخَرُ

وَفِي مَنْبِجٍ مَنْ رِضَا هُ أنْفَسُ مَاأدّخَرُ

وَ أَصْبِيَةٌ كَالْفِرَا خِ أكْبَرُهُمْ أَصْغَرُ

(الثعالبي ،1983م، أبو فراس 1992م)

[36] مع اختلاف يسير عما في يتيمة الدهر .

فأبو فراس يحن إلى وطنه بشقيه، وكثيرا مايبكي متشوقا إليه، فيذكر حلب وما بها من عِزّه وعشيرته ،ويذكر منبج حيث تقطن أمه التي رضاها عنه أنفس الأشياء ذخرا وكذلك صبيته الصغار الأكبرمنهم أصغر .

وقال في موضع آخر يتشوق محله بمنبج :

تِلْكَ الْمَنَازِلُ وَالْمَلَا عِبُ لَاأَرَاهَا اللهُ مَحْلَا[37]

أَوْطِنْتُهَا زَمَن الصّبَا وَجَعَلْتُ مَنْبِجَ لِي مَحَلّا

حَيْثُ الْتَفتَ رَأَيْتَ مَا ءً سَائِحَاً وَسَكَنْتَ ظِلّا

وَالْمَاءُ يَفْصِلُ بَيْنَ زَهْ رِ الرّوضِ فِي الشّطّيْنِ فَصْلَا

كِبِسَاطِ وَشْيٍ جَرّدَتْ أَيْدِي القُيُونِ[38] عَلَيهِ نَصْلاَ [39]

(الثعالبي ،1983، أبو فراس ،1992م)

وهكذا ومما تقدم يتضح لنا أن أبا فراس كان يتحلى في أسره بحبه لوطنه وشوقه إليه وكان يتذكر أيامه التي قضاها بين منبج وحلب .وكانت إيام صباه في منبج وماقضاه فيها من وقت جميل وسط الطبيعة الخلابة عالقة بذهنه ، وكان يدعو لها بالخير والنماء .

سادسا : الثقة والأمل فيما عند الله والرضا بقضائه :

الثقة فيما عند الله والرضا بقضائه من أجل الصفات التي يجب أن يحرص عليها المسلم ،ويربي عليها النشء من أولاده وأحفاده ؛لما لها من الفوائد الدنيوية والأخروية ، ولقد تمسك بها شاعرنا في السنوات العصيبة ، ونتيجة لثقته ،وأمله فيما عند الله ورضاه بقضائه وقدره، يسّر الله له وهيأ له المفاداة والتحرر، يقول أبو فراس :

إِذَا لَمْ يُعِنْكَ اللهُ فِيمَا تُرِيدُه فَلَيسَ لِمَخْلُوقٍ إِلَيهِ سَبِيْلُ

وَإِنْ هُو لَمْ يَدْلُلْكَ فِي كُلِّ مَسْلَكٍ ضَلَلتَ وَلَو أَنّ السِّمَاكَ[40] دَلِيْلُ

وَإِنّ رَجَاءً بِهِ وَظَنّي بِقَضَائِهِ عَلَى قُبْحِ مَا قَدمْتُهُ لَجَمِيْلُ[41]

وقال أيضا : (ابن عساكر،2001م،أبو فراس،1992م)

([37]) جدب وهو دعاء للمنازل بأن تظل خصبة ،

([38]) القيون من حرفتهم صناعة السيوف .وهم الحدادون .، جاء في لسان العرب حرف القاف مادة قين : القَيْنُ : الحَدّاد ، وقيل كل صانع قين والجمع أقيان وقيون .

([39]) ،النصل : حديدة الرمح ، أو السهم ، أو السكين .جاء في لسان العرب في حرف النون مادة نصل ، النصل نصل السهم ونصل السيف والسكين والرمح . . المحكم : النصل حديدة السهم والرمح .وهو حديدة السيف مالم يكن لها مقبض حكاها ابن جني قال : فإذا كان لها مقبض فهو سيف ، ولذلك أضاف الشاعر النصل إلى السيف ....

([40])السماكان نجمان نير ان ، أحدهما في الشمال ، ويعرف بالرامح والثاني في الجنوب ويعرف بالأعزل . انظر ديوان أبي فراس ، هامش ص254 ،للمحقق .

([41]) . مع اختلاف يسير في الأبيات .

إِذَا كَانَ غَيرُ اللهِ لِلْمَرْءِ عُدّةً أَتَتْه الرّزَايَا مِنْ وُجُوهِ الْفَوَائِدِ

فَقَدْ جَرّتْ الْحَنْفَاءُ[42] حَتْفَ حُذَيفَةٍ وَكَانَ يَرَاهَا عُدّةً لِلشّدَائِدِ

وَجَرّتْ مَنَايَا مَالِكِ بِنْ نُوَيرَةٍ عَقِيلَتُهُ الْحَسْنَاءُ أيّامَ خَالِدِ

عَسَى اللهُ أنْ يَأتِيَ بِخِيرٍ فَإنّ لِي عَوائدَ مِن نُعْمَاه غَيْرَ بَوائِدِ

(الثعالبي، 1983م، أبو فراس 1992م)

من خلال ما تقدم يتضح لنا أن أبا فراس كان يتحلى بالثقة والأمل في الله ،والرضا بقضائه في أسر الروم ،وكان يؤمن إيمان راسخا بأن ما أراده الله سيكون ،وإن لم يكن التوفيق من الله فلن يكون من أحد غيره مهما كثر أو عز ذلك الغير ،وإذا كان غير الله للمر عدة أتته الرزايا والمصائب من حيث أريد به النفع ، وضرب على ذلك أمثلة منها: فقد كانت الحنفاء التي كان يعتز بها حذيفة بن بدر سبب هلاكه، كما كانت عقيلة مالك بن نويرةالحسناء سبب هلاكه أيضا . **سابعا : الوفاء لغلمانه والشوق إليهم :**

الوفاء هو المحافظة على العهد، والالتزام به وهو من شيم أهل المروءة والفضل ،ومن صفات أهل السماحة و العدل ، ولقد تمسك به أبو فراس في أحلك الظروف سوادا ،وأشدها خطورة ؛فلم يصرفه ما كان ينطوي عليه من هم ،وما كان يعتلج في صدره من غم، وما كان يعانيه من لوعة الفراق، وما كان يكابده من ألم الاشتياق، من السؤال والاستفسار عن غلمانه ، وخدمه، وأتباعه، يقول لغلامه منصور:

مُغْرَمُ مُؤلَمُ جَرِيحُ أسِيرُ إنّ قَلْبَا يُطِيقُ ذَا لَصَبُورُ

وَكَثِيرُ مِنْ الرّجَالِ حَدِيدُ وَكَثِيرُ مِنْ الْقُلُوبِ صُخُورُ

أنَا أصْبَحْتُ لاأُطِيقُ حَرَاكًا كَيفَ أصْبَحْتَ أنْتَ يا مَنْصُورُ

(الثعالبي،1983م،أبو فراس 1992م)

وهنا يكتب أبو فراس لغلامه منصور عن حاله في الأسرومايعانيه فيه فهو متشوق إلى أهله ووطنه وهو مؤلَمُ وجريحُ وأسيرُ وتلك الأحوال يصعب على القلب تحملها ولا يتحملها إلا الصبور من الرجال .صحيح هناك من القلوب مالا يتأثر مثل الصخور وهناك من الرجال قلوبها حديد لكنه لا يستطيع تحمل تلك الأحوال فأصبح لايستطيع حراكا من كثرة مايعانيه ،ومع ذلك يسأل عن غلامه ،وما ذلك إلا لشدة وفائه لغلامه منصور .

وكتب إليه من السريع أيضا :

ارْثِ لِصَبٍّ بِكَ قَدْ زِدْتَهُ عَلَى بَلايَا أسْرِهِ أسْرَا

قَدْ عَدِمَ الدّنيّا وَلَذّاتِهَا لَكِنّهُ ماعَدِمَ الصّبْرَا

فهو أسيرُ الْجِسْمِ في بَلدَةٍ وَهُوَ أسِيرُ الْقَلْبِ فِي أخْرَى

([42]) الحنفاء : قيل القوس ، وقيل: فرس حذيفة بن بدر وهو رجل جاهلي كان يضرب به المثل في سرعة السير عاصر الملك المنذر بن ماء السماء . انظر ديوان أبي فراس ،هامش ص101 للشارح..

(الثعالبي،1983،أبوفراس 1992م)

فأبو فراس يطلب من غلامه منصور رثاءه لحبه له وشدة تعلقه به ، ويرى أبو فراس أن غلامه زاده أسرا على أسره فهو أسير الجسم في سجن الروم وأسير القلب في بلدة أخرى عند منصور، بسبب حبه له .

وكتب إليه أيضا من السريع :

يَالَيْلُ نَامَ النّاسُ عَنْ مُوجَعٍ نَاءٍ عَلَى مَضْجَعِهِ نَابِي[43]

هَبّتْ لَهُ رِيْحُ شَآمِيّةُ مَتّتْ إِلَى الْقَلْبِ بِأسْبَابِ

أدّتْ رِسَالَاتِ حَبِيْبٍ بِهَا فَهِمْتُهَا مِنْ بَيْنِ أصْحَابِي

(الثعالبي ،1983م،أبوفراس ، الديوان، 1992م)

وكتب إلى غلامين له من الخفيف :

لَا رَعَى اللهُ يَاخَلِيلَيّ دَهْرَا فَرّقَتنَا صُرُوفُهُ تَفْرِيقَاً

كُنتُ مَولَاكُمَا وَمَاكنْتُ إِلاَ وَالدَا مُحْسِنَا وَعَمّاً شَفِيقَا

فاذْكُرَاني وَكَيفَ لاتَذْكُرَانِي كُلّمَا اسْتَخْونَ الصّدِيقُ صَدِيقَا

بِتُ أبْكِيكُمَا وَإنّ عَجِبْتَا أنْ يَبِيْتَ الأسيرُ يَبْكِي الطّلِيْقَا

(الثعالبي ،،1983م،أبو فراس ،،1992م)

فأبو فراس هنا يعتب على الدهر داعيا الله بألّا يراعاه بسبب أحداثه ومصائبه التي فرقت بينه وبين خليليه، ثم يذكّرهما بحسن معاملته لهما طالبا منهما ذكره وعدم نسيانه ،موضحا شعوره تجاههما حيث يبيت باكيا على فراقه لهما متعجبا من كون الأسير يبكي الطليق .

مما تقدم يتضح لنا الوفاء الذي كان يتسم به أبو فراس الحمداني في أسر الروم تجاه غلمانه

ومواليه ، وما ذلك إلا لأخلاقه العالية وشمائله الرفيعة.

المطلب الثاني :شعر أبي فراس الأخلاقي والتربوي في الأسر في ميزان البلاغة والنقد:

يرى المتأمل في شعر أبي فراس في جوانبه الأخلاقية والتربوية في أسر الروم من الناحية البلاغية والنقدية ما ياتي :

أولا : من الناحية البلاغية :

([43]) نابي: لم يطمئن في نومه على الفراش يتيمة الدهر ج1هامش ص91. للمحقق .

نجح أبوفراس في استخدام الأساليب الخبرية والإنشائية التي غرضها التحسر والندم وإثارة التنبيه والاهتمام عما يعانيه في الأسر ، كما نجح في استخدام الخيال والاستعارة للتعبير عن ذاك الغرض ونفصل ذلك كالآتي:

فمن الأساليب الخبرية التي تبرز مايعانيه في مصابه من التحسر والندم وما هو عليه من الصبر والتأسي قوله:

مصابي جليل والعزاء جميل ودائي مابين الضلوع دخيل

تطول بي الساعات وهي قصيرة وفي كل دهر لايسرك طول

وما يفيد الفخر والحث على مفاداته قوله:

فإن تفتدوني تفتدوا شرفَ العُلا وأسرع عوّاد إليكم معوّد

يدافع عن أعراضكم بلسانه ويضرب عنكم بالحسام المهنّد

و ما يفيد الاستعطاف وإثارة الحزن عليه والشفقة به قوله:

بت أبكيكما وإن عجيبا أن يبيت الأسير يبكي الطليق

ومن الأساليب الإنشائية التي غرضها الرجاء والتوسل والنصح والإرشاد،قوله:

يا أمتا لاتحزني وثقي بفضل الله فيه

يا أمتا لا تيأسي لله ألطاف خفية

أوصيك بالصبر الجمي ل فإنه خير الوصية

و ما يفيد الاسترحام واستدرار العطف والشفقة قوله:

بأي عذر رددت والهة عليك دون الورى معولها

وقوله: فاذكراني وكيف لاتذكراني كلما استخون الصديق صديقا

و مايفيد الفخروضرورة مفاداته قوله:

متى تخلف الأيام مثلي لكم فتى طويل نجاد السيف رحب المقلد

ومن الخيال والتشبيه البليغ والاستعارة قوله:

كنا بها أسدا وكنت بها كلبا

وذلك في معرض رده على الدمستق ،وفي معرض رده على الحساد والشامتين قال :

ماكنت إلا السيف زا د على صروف الدهر صقلا

فقد استخدم أسلوب القصر بالنفي والاستثناء الذي شبه نفسه فيه بالسيف ، وكذلك استخدم التشبيه في معرض تشوقه إلى بلده وصبيته فقال :

وأصبية كالفراخ أكبرهم أصغر

وكذلك التشبيه في معرض وصفه للطبيعة وجمالها في بلده متشوقا إليها قال :

كبساط وشي جردت أيد ي القيون عليه نصلا

ويخاطب الليل على هيئة الاستعارة المكنية بقوله : يا ليل ....فقد شبه الليل بإنسان وحذف المشبه به وهو الإنسان وأتى بشيء من لوازمه وهو العقل والفهم ومن ثم ينادى ....

مما تقدم يتضح لنا أن أبا فراس عمد إلى استخدام الاساليب البلاغية في توضيح حاله داخل الأسر وما يعانيه من ألم الفراق والشوق إلى أهله وصبيته ،وقد نجح في ذلك أيما نجاح .

ثانيا : من الناحية النقدية :

وعند التناول للناحية النقدية نركز على ثلاثة جوانب ،ألا وهي : المناهج النقدية والوحدة العضوية والتجربة الشعورية ، ثم ننظر إلى أي مدى استطاع الشاعر استيفاء تلك الجوانب النقدية المهمة في نصوص الدراسة ؟ونفصل ذلك كالآتي:

أ -المناهج النقدية : دأب النقاد والأدباء في العصر الحديث على العناية بالجانب النقدي لأي عمل أدبي، لهذاحرص الأدباء على العمل على تلاشي أي نقد يوجه إليهم،وذلك باستيفاء هذه المناهج ، كما حرص النقاد على اعتبار النقد بمناهجه المختلفة(الفني والاجتماعي والتاريخي) بمثابة المعيار الذي يقاس عليه نجاح أي عمل أدبي ، وبالنظر إلى نصوص الدراسة في ظل تلك االمناهج أقول:

لقد توافرت المناهج النقدية المختلفة في شعر أبي فراس في أسر الروم فمن حيث المنهج الفني ،كانت لغة أبي فراس فصيحة وألفاظه جزلة وقوية ومتينة،كما كانت أساليبه واضحة بعيدة عن التعقيد والابتذال ، وقد راعى القواعد النحوية في شعره ، ومن حيث المنهج الاجتماعي ؛فقد راعى البعد الاجتماعي حيث صوّر حال أمه وشوقها إليه ،وعبر عن شوقه لبلده وغلمانه وأهله وما يعانيه في الأسر .كما راعى المنهج التاريخي وربط الحاضر بالماضي، وشدد على ضرورة التأسي والتصبر حيث قال :

أما لك في ذات النطاقين أسوة بمكة والحرب العوان تجولُ

وكوني كما كانت بأحد صفية ولم يشف منها بالبكاء غليلُ

وفارق عمر بن الزبير شقيقه وخَلى أميرَ المؤمنين عقيلُ

ففي كل ذلك رجوع إلى التاريخ واستلهام العظة والعبرة منه وقد أجاد .

ب- الوحدة العضوية :

والوحدة العضوية جانب مهم من الجوانب النقدية ،وبالنظر إليها في نصوص الدراسة نجدها قائمة وموجودة ؛ حيث تجد الأبيات مترابطة ترابطا منطقيا ،وذلك في مثل قوله:

أتزْعُمُ يا ضَخْمَ اللغاديدِ أننا ونحن أسود الحربِ لانَعْرِفُ الحَرْبا

فَوَيلكَ مَنْ للحَرْبِ إن لم نكنْ لها وَمَنْ ذا الذي يُضحي ويُمسي لها تِرْبَا

وَمَنْ ذَا يَكُفّ الجَيشَ مِنْ جَنَبَاتِهِ وَمَنْ ذا يقودُ العينَ أو يَصْدِمُ القلبَا

وَوَيْلَكَ من أردى أخَاكَ بِمَرْعَشٍ وَجللَ ضربا وجهَ والدكَ العَضْبَا

وَوَيْلَكَ مَنْ خلى ابن أختك مُوثَقا وَخَلاكَ باللقانِ تَبْتَدِرُ الشّعْبَا

لقد جمعتنا الحرب من قبل هذه فكنا بها أسدا وكنت بها كَلبَا

وسل بردا سل عنا أباك وصهره وسل أهل برداليس أعظمهم خَطبَا

أَلَمْ تَكْفِهِم قَتْلا وَنَهْبَا سُيوفُنَا وأسْدَ الشرَى الملأى وإن جمدت رُعْبَا

بأقْلامِنَا أجْحرتَ أمْ بِسُيوفِنا وَأسْدَ الشرَى قُدْنَا إليْكَ أَم الْكُتبَا

فبالتأمل في تلك الأبيات ترى الوحدة العضوية بين الأبيات في الأفكار قائمة والأبيات مرتبة ترتيبا منطقيا كل فكرة معتمدة على ماقبلها، وتسلم لما بعدها حتى نهاية النص .فذكر العيب الذي اتهم به الدمستق المسلمين ثم فنّده بالحجج الناصعة ،والبراهين الساطعة ،وأنهى الأبيات نهاية منطقية مترتبة على ماقبلها ، وذلك باستفهام استنكاري غرضه التوبيخ ،حيث قال :

بأقلامنا أجْحرتَ أم بِسُيوفنَا وَأسْد الشرَى قدْنا إليك أم الكتبَا ؟

ج-التجربة الشعرية(الشعورية):

والتجربة الشعرية جانب مهم من الجوانب النقدية أيضا وبالنظر إليها تجدها

صادقة في كل نصوص الدراسة ولم لا ؟ وقد عايشها الشاعر وكابدها ؛ فمن ذلك على سبيل المثال لا الحصر قوله :

يا سيديّ أرَ اكُما لا تذكرَان أخَاكُما

أو جدتمَا بدلا بِه يبْني سَمَاءَ عُلاكُما

أو جدتمَا بدلا بِه يفْرِي نحُور عِداكُما

مَنْ ذا يعابُ بمَا لقي تُ من الورَى إلّا كُما

لا تقْعُدا بي بَعدها وسَلا الأميرَ أبَاكمَا

وخذا فدايَ جُعِلْتُ من رَيب المَنونِ فِدَاكُمَا

فالتجربة الشعرية صادقة؛لأن الشاعر كان يعايشها ويعانيها ولذلك جاءت العاطفة المسيطرة على أبي فراس الحزن والأسى لوقوعه في أسر الأعداء، والسعي جاهدا من أجل المفاداة والتحرر من قيود الأسر وأغلاله .

وقد نجح الشاعر في كسب ود وتعاطف القاريء معه وذلك؛ لصدق تجربته الشعرية من ناحية ، و حسن اختياره للألفاظ اللغوية والأساليب البلاغية من ناحية أخرى .

خاتمة

من خلال ما تقدم يمكن تقرير مايلي:

ولد أبو فراس الحارث بن أبي العلاء في منبج من بلاد الشام سنة 320هـ وقيل في الموصل ، وتربى في كنف ابن عمه سيف الدولة حيث مات أبوه وهو صغيروكان عمره ثلاث سنوات آنذاك .

اختلف العلماء في كيفية موته والراجح أنه قتل في الحرب مع ابن سيف الدولة حيث قام بقتله قرغويه أو أمر من يقتله .وقد كان أسر في سجن الروم في سنة 351هـ وتمت مفاداته سنة 355هـ حيث فاداه سيف الدولة عند تبادل الأسرى مع الروم .

كان أبو فراس يتمتع بالشجاعة وحسن الخلق وضرب أروع الأمثلة في ذلك .

من الجوانب الأخلاقية والتربوية في شعر أبي فراس في أسر الروم ما يأتي :

بر الوالدين: حيث أحسن إلى أمه وكان بارا بها على الرغم من بعده عنها ،وتمثل ذلك البر في صور شتى منها: الحب لها والخو ف عليها ،والسؤال عنها ،واللوم فيها ، وقد امتد بره بها حتى بعد موتها؛ فقد رثاها رثاء عكس موتها في غياب الولد والعشير الأمر الذي يسيل الدمع ويحزن القلب، كما عكس رثاؤه لها ماكانت تقوم به من طاعات في الليل والنهارالأمر الذي يبعث على الدعاء والاستغفار لها .

الصبر والمواساة والتأسي : وقد تمثل هذا الجانب الأخلاقي في الصبرعلى جفاء القريب والصديق وعلى ما يتعرض له في الأسر وما يعانيه فيه وكذلك في مواساته لأمه ،وحثها على الصبر والتأسي بمن قبلها من الصحابيات مثل: أسماء -وصفية رضي الله عنهما .

- الشجاعة والثبات ورباطة الجأش في الملمات : وقد تمثل ذلك الجانب الأخلاقي في رده على الدمستق - قائد جيش الروم- بما أفحمه وألجمه ، وأثار غضبه، وكذلك في رده على الشامتين والمتربصين الأمر الذي يكشف بجلاء أنه لا يأبه بالأحداث التي يلاقيها فهي لاتزيده إلا ثباتا وصلابة ، فهو بمثابة السيف لاتزيده الأحداث إلا صقلا ولمعانا ومضاء .

- الأخذ بالأسباب في الوصول إلى هدفه: وقد تمثل ذلك الجانب الأخلافي في سعيه الحثيث وجهده الدؤوب للتحرر من أسر الروم ،وقد طرق في ذلك أسبابا عديدة منها : التوسل إلى سيف الدولة ، مبينا جدارة سيف الدولة وقدرته على المفاداة ، و بعد ذلك طلب منه السماح له بمخاطبة أهل خراسان في مفاداته ، في حالة عجز سيف الدولة عن المفاداة ،ولما لم يجد اهتماما كافيا من سيف الدولة خاطب ابني سيف الدولة، وهما : أبو المعالي وأبو المكارم .وطلب منهما التوسط له لدى سيف الدولة، من أجل مفاداته .

- حب الوطن والشوق إليه:تمثل هذا الجانب الأخلاقي في حبه لوطن وشوقه إليه سواء كان في حلب التي بها عزه وعشيرته أو منبج التي بها أمه وصبيته.

الثقة والأمل فيما عندالله والرضا بقضائه : تمثل هذا الجانب الأخلاقي عند أبي فراس في أسر الروم في الرضا بقضاء الله وقدره ،وكان يؤمن بأن إرادة الله فوق كل إرادة ،وإن لم يكن النجاح والسداد من الله فلن يكون من أحد سواه .

-الوفاء : تمثل هذا الجانب الأخلاقي في وفا ئه لأهله وأقاربه خاصة غلمانه

-الوحدة العضوية قائمة في نصوص الدراسة ؛فقد رتب الشاعر الأفكار في الأبيات ترتيبا منطقيا حيث إن كل فكرة مبنية على ماقبلها وتسلم لما بعدها.

التجربة الشعرية في نصوص الدراسة صادقة فقد عايشها الشاعر وتأثر بها فجاءت العاطفة المسيطرة عليه الحزن والأسى لما يعانيه من لوعة الشوق وألم الفراق .

نجح الشاعر في استخدام الأساليب البلاغية والألفاظ والتركيب اللغوية التي تعبر عما يعانيه في الأسر ، الأمر الذي جعل القاريء يتفاعل معه ويؤمن بعدالة قضيته .

تلقى نصوص الدراسة قبولا واستحسانا في ميزان النقد الأدبي وذلك لمراعاة الشاعر فيها للأبعاد النقدية المختلفة الفنيةوالتاريخية والاجتماعية .

وتوصي الدراسة بضرورة مواصلة البحث في شعر أبي فراس بصفة عامة ودراسة وقراءة شعره في أسر الروم بصفة خاصة ، فمازال ديوانه يذخربالكثير من القيم والحكم والأخلاق والأفكار التي يمكن الاستفادة منها والبناء عليها .

وماتوفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

ابن الأثير أبو الحسن (علي)، الكامل في التاريخ ، ج8، دار صادربيروت ، 1979 ص 588

ابن تغري بردي جمال الدين (يوسف)،النجوم الزاهرة ، قدم له وحققه محمد حسين شمس الدين ، ج4،دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، طبعة أولى ، 1992م. ص21 .

الثعالبي أبو منصور (عبدالملك)، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، ، ج1، شرح وتحقيق ، د مفيد محمد قميحة،دار الكتب العلمية ، بيروت ، طبعة ثانية 1983م،ص57، ص58،ص74، ص87، ،ص88 ،89 ص90، 91 ،ص 97 ص 101 ، 102، ص102،ص106، ص107

–ابن خلكان أبو العباس (أحمد)، وفيات الأعيان ، وأنباء أبناء الزمان ، ج2، حققه، د.إحسان عباس ، دار صادر، بيروت ، ص 60، ص62

الذهبي شمس الدين (محمد)، سير أعلام النبلاء ، ج16، حقق هذا الجزء ، أكرم البوشي، طبعة ثانية ، مؤسسة الرسالة ، 1984م ص.197

ابن الرومي أبو الحسن(علي)، الديوان ، ج3، شرح الاستاذ أحمد حسن بسج ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، طبعة ثالثة ، 2002م، ص14.

الزركلي خير الدين (محمد) ، الأعلام ، ج2،دار العلم للملايين، الطبعة العاشرة ،بيروت ، 1992 م ص.155

الصفدي ، صلاح الدين (خليل) ،الوافي بالوفيات ، ج11، تحقيق واعتناء أحمد الأرناؤوط – تركي مصطفى ، دار إحياء التراث

العربي ، بيروت طبعة أولى ، 2000م ،ص201.

ابن عساكر أبو القاسم (علي)، تاريخ دمشق الكبير، ج12، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 2001م ص224، ص225، ص227 ،228.

ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج4،أشرف على تحقيقه وخرج أحاديث عبد القادر الأرنؤوط ، حققه وعلق عليه محمود الأرنؤوط، دار ابن كثير دمشق ، طبعة أولى، 1989م ص302.

، الحمداني أبو فراس،(الحارث) الديوان ، شرح د. خليل الدويهي ، الناشر دار الكتاب العربي ، الطبعة الثانية ،بيروت 1992م، ص 24 ،25، ،ص31 ،32 ، ص57،ص59 ، ص97 ،98 ، ص101 ، ص 118، ص 161 ،ص 166،ص167، ص225 ،226 ص241 ، ص 252 ،253 ،254 ص288 ، ص338، ص 350 ،ص355.

-ابن كثيرأبو الفدا (إسماعيل)، البداية والنهاية ، تحقيق د عبد الله بن عبدالمحسن التركي ،ج15، طبعة أولى ، ،دار هجر، 1998م، ص 314

-ابن منظور (محمد)،مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ، ج6،تحقيق محمد مطيع الحافظ، دار الفكر، طبعة أولى،1984م ،ص150 .

-ابن منظور ، (محمد) لسان العرب ، ج6، دار المعارف ،دون سنة،

-ابن الوردي زين الدين (عمر)، تاريخ ابن الوردي ، دار الكتب العلمية ، طبعة أولى،، بيروت ، 1996م. ج1،ص284، ج11،ص201.

-اليافعي أبومحمد (عبدالله)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، ج2، دار الكتاب الإسلامي ، طبعة ثانية ، القاهرة ، 1993م.ص369.

- ياقوت الحموي ، شهاب الدين (ياقوت) ، معجم البلدان ، ج2، ج5، دار صادر بيروت ، 1977م . ،ص359 ، ص206

Sources and references

The Holy Quran

Ibn al-Atheer Abu al-Hasan (Ali), Full in History, C8, Dar SaderBeirut, 1979 p. 588

Ibn Taghrei Bardi Jamal al-Din (Youssef), the star-studded, presented and achieved by Mohammed Hussein Shamseddine, C4, The House of Scientific Books, Beirut, Lebanon, first edition, 1992. P. 21.

Al-Thaalbi Abu Mansour (Abdul Malik), orphan of the age in the merits of the people of the era, c1, explanation and realization, Dr. Mufid Mohammed Qameiha, The House of Scientific Books, Beirut, second edition 1983, p. 57, p. 74, p. 87, p. 88,89 p90, 91, 97, p. 97 p. 101, 102, p. 102, p. 106, p. 107, p. 107, p. 107

Ibn Khalkan Abu Abbas (Ahmed), The Death of The Dignitaries, The News of sons of time, J2, Sahra, Dr. Ihsan Abbas, Dar Sader, Beirut, p. 60, p. 62

Golden Shamseddine (Muhammad), Biography of The Nobles Flags, C16, Achieved This Part, Akram Al-Bushi, Second Edition, Al-Resala Foundation, 1984 P.197

Ibn al-Rumi Abu al-Hasan (Ali), Diwan, C3, Explained by Professor Ahmed Hassan Bassaj, Scientific Books House, Beirut, third edition, 2002, p. 14.

Zarkli Khaireddine (Mohammed), Al-Alam, C2, Dar al-Alam for Millions, 10th Edition, Beirut, 1992 P.155

Al-Safadi, Salaheddine (Khalil), Al-Wafi Al-Da'wa, C11, Investigation and Care of Ahmed Arnaout -Turki Mustafa, Heritage Revival House

Al-Arabi, Beirut First Edition, 2000, p. 201.

Ibn Askar Abu al-Qasim (Ali), The Great History of Damascus, C12, House of Arab Heritage Revival, Beirut, Lebanon, First Edition, 2001 p. 224, p. 225, p. 227, 228.

Ibn al-Imad, The Nuggets of Gold, C4, supervised its realization and came out the hadiths of Abdelkader Al-Arnot, achieved and commented on by Mahmoud Al-Arnot, Dar

Ibn Kabir Damascus, first edition, 1989 p. 302. Al-Hamdani Abu Firas, (Al-Harith) Al-Diwan, Explained By Dr. Khalil Al-Duwayhi, Publisher, Arab Book House, 2nd Edition, Beirut, 1992, p. 24, 25, p. 31, 32, p. 57, p. 59, p. 97, 98, p. 101 118, p. 161, p. 166, p. 167, p. 225, 226 p. 241, p. 252, 253, 254 p. 288, p. 338, p. 350, p. 355. –

Ibn KabirAbu al-Fada (Ismail), beginning and end, investigation of Dr. Abdullah bin Abdul Mohsen al-Turki, C15, first edition, Dar Hijr, 1998, p. 314

Ibn Mansoor (Muhammad), the acronym for the history of Damascus for Ibn Askar, C6, The Realization of Muhammad Mouti al-Hafiz, Dar al-Fikr, first edition, 1984, p. 150.

Ibn Mansoor, (Muhammad) Tongue of The Arabs, C6, House of Knowledge, under a year,

Ibn al-Wardi Zain al-Din (Omar), The History of Ibn al-Wardi, Scientific Book House, First Edition, Beirut, 1996 C1, p. 284, c11, p. 201.

Al-Yafei Abu Muhammad (Abdullah), Mirror of the Jinan and Abra al-Yaqan, C2, Islamic Book House, Second Edition, Cairo, 1993.p. 369.

Yakut al-Hamwi, Shihab al-Din (Yakut), Dictionary of Countries, C2, C5, Dar Sader Beirut, 1977. P.359, p. 206.